بسم الله الرحمن الرحيم

روضة الأمجاد

ت. آسيا

Ася термаз

إهداء:

إلى تلك الأرض العطرة...

وإلى ذلك الشعب المناضل...

سيعود المسرى إلى أمة خير من ليلة سرى...

Ася термаз

يوم البشر يوم البشر...حل البشر حل البشر...طلع الجبل ينادي أيا البشر يا حاتم ابشر لؤلؤتان نفيستان من نيسان أيا حاتم أبشر.

ولما وصل الى حاتم قال. جاءك توئم عروس البلاد هي هناء، وأبو العرسان مهند أبو الابطال

قصة من بين ألوف القصص ميزها حب البلاد والمحبة والنضال، زادها وصل الدم في العروق وصلا.

أنا حاتم ولي زوجة هي أم أبنائي واسمها أنفال، ولدت لأرى كل مختال جبار يبطش ببلادنا وعوائلنا، أبي فدى الأرض بدم شريان، سال الدم من صدره فما لبث أن اختلط بتراب أرض البطولة...

سلك درب البطولة فما أبغي أنا دربا سواه، صعدت الجبل وعمري ست سنوات إلا يومين

Ася термаз

وأمي تمسك بيدي: أيا حاتم لا تفارق عيني...أيا حاتم لا تفارق ناظري... تركني أبوك أيا بكري أستتركني واخوتك لعوي العوادي...أيا حاتم اما تكفيك ذروف دمعي ذي...

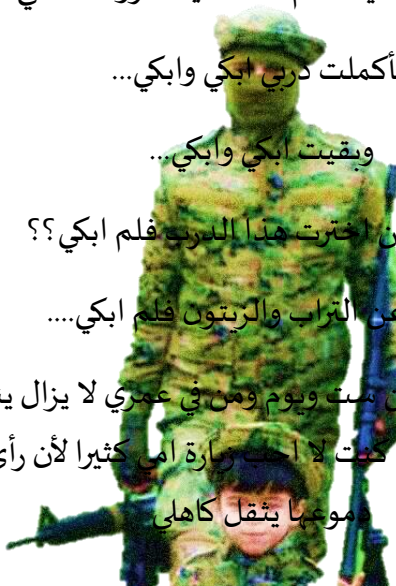

فأكملت دربي ابكي وابكي...

وبقيت ابكي وابكي...

لالا انا من اخترت هذا الدرب فلم ابكي؟؟

ادافع عن التراب والزيتون فلم ابكي....

فكنت رجلا من ست ويوم ومن في عمري لا يزال ينام بحضن امه، كنت لا احب زيارة امي كثيرا لأن رأى موعها يثقل كاهلي.

فوقت السقاية هو بعد صلاة الفجر، اذ كنت اركب دابتي وأصلي بقريتي ثم أختبئ خلف الحشائش لرآها

Ася термаз

ومرت السنين والسنين ...الى ان صار عمري عشرين، وبعد غياب أربعة عشر سنة ويومين أذكرها يوما بيوم. ذهبت الى قريتي ودخلت بيتي الذي عشت به سنين طفولتي الأولى، وجدت امي نائمة فجلست بجنبها أقبل خديها الى أن جاء أخوي فلم يعرفاني فقالا: هااي أنت ماذا تفعل ببيتنا وبجانب أمنا أتعرفنا؟

فقلت: عامر أسماء ألم تعرفا أخوكما؟ فجاءا الى صدري يضمانني يا حاتم ما فعلت بنا وأمنا.

أمنا لم عيناها قط من الدموع لم يطبق لها جفن قبل أن تقبل صورتك و تشم ثيابك و تضمها الى صدرها.
فقلت: آه أيسعدني ان ارى امي بحالها ذا؟ لكني اردت منها فخرا واعتزازا أيرضيكم أن قاتل أبيكم لازال يمرح؟ أيرضيكم أنه لازال يبطش؟ أنا قبل أربعة عشر سنة ذهبت لثأر والآن لم آتي إلا لأقول أني أخذت بثأري أيا

Ася термаз

أسماء زلغطي أسمعي الأنام أسمعي دم أبي غالي و دم المحتل بخس.

فصحت أمي دنت مني: أنت فخري يا حاتم بطل انت كأبيك وجدك، اليوم سأنام حقا لأن قاتل اباك في النار يتقلقل.

ولبثت في البيت أسبوعا وفي اليوم الثامن أخذتني أمي جرا من يدي إلى باب القرية تطلب يد بنته أنفال لي.

لم أرى حياء مثل حيائها ولا جمالا مثل جمالها ولا حتى عيونا مثل عيونها بقبلت وقبلت وما هو الا شهر وأقيم حفل الزفاف فزفت أنفال إلى بيتنا كجوهرة للأنظار بفستانها الأبيض بسماع فكان ذلك اليوم اليوم الوحيد الذي رأيت فيه أمي تضحك.

و بعد يومين جاءني فدائي كان معي في الجبل قال: يا حاتم نحتاج عونك و خبرتك ضد العدو فهيا هيا...

Ася термаз

و ما ان ركبت بهيمتي و انطلقت حتى جاء العدو و صار يبحث عني، فأبا أهلي ان يقرو فاعتقلوا اخي المسكين عامرو عذبوه أيما تعذيب، حرقت قريتي برمتها ماتت أمي و لم ينجوا سوى أنفال و أسماء و بدأتا تمشيان هائمتين لا تدريان سبيل الخلاص، فجبت جميع القرى المجاورة أبحث عنهما الى ان وصلت الى قرية صغيرة فوجدتهم ضيوفها فجاءتا الي تبكيان: لقد ماتت أمك و هي تلوذ الخلاص لأم أحفادها، فقلت أيا أنفال أأنت حبلى، قالت: نعم و في رحمي توأمان عسى ان يكونا عوضا لنا.

فشكرت الله اعطاني فرحة تبقيني في الحياة، ثم لم ألبث ان التقيت بصاحب لي أوصيته بأهلي و اكملت نضالي، و كنت من فترة لأخرى أشق عليهن لأطمئن.

Ася термаз

و انقضت شهور الحمل، و في العاشر من نيسان ولدت أنفال فجاءني صاحبي يبشرني، و ما ان هو عندي حتى قدم الصهاينة للقرية و أسقطوا الأشجار فوق رؤوس الخلق و زوجتي مغما عليها في البيت فما نجت، أما اختي فلم تجد ما تفعل فحملت أطفالي ذهبت تتجري و تجري فما نجت و اخترقت رصاصة ظهرها، فأخذ الصهاينة أبنائي معهم...

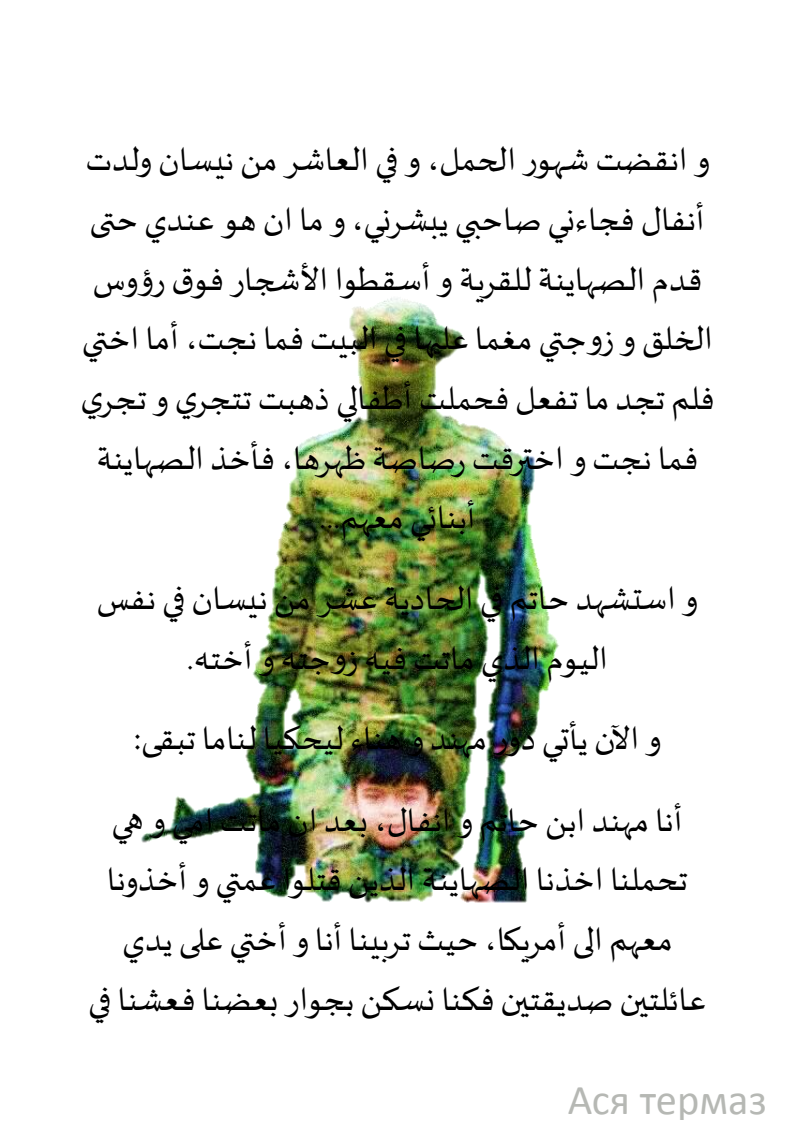

و استشهد حاتم في الحادية عشر من نيسان في نفس اليوم الذي ماتت فيه زوجته و أخته.

و الآن يأتي دور مهند و أنفال ليحكيا لنا ما تبقى:

أنا مهند ابن حاتم و أنفال، بعد ان ماتت امي و هي تحملنا اخذنا الصهاينة الذين قتلوا عمتي و أخذونا معهم الى أمريكا، حيث تربينا أنا و أختي على يدي عائلتين صديقتين فكنا نسكن بجوار بعضنا فعشنا في

Ася термаз

غير بلد، و غير دين و ملة و معتقد، و تكلمنا لغة أخرى و أسماءنا كانت ابراهام و سيليا.

و كنا قريبين جدا من بعضنا، لنا نفس الطباع و الصفات، و كنا ذوو جمال عربي مشرقي تنفتح له الافواه و تحدق به العيون، و كنت نسخة عن عن أبي حاتم أحمل كل ملامحه، و أختي نسخة عن أمي – رحمهم الله- لها نفس العيون التي كتب فيهما أبي شعرا.

و قد علمنا في مدرستنا ألا نرحم و ألا نندم عما اقترفنا صالحا أم طالحا، و علمونا قسوة، كرها بدل مشاعر المحبة، و كانوا يقولون لنا أشياء مثل: نحن سنحكم العالم و العالم الآن تحت قبضتنا و المستقبل لنا و الأقصى الذي أخرجنا منه يوما هو الآن لنا.

و جيء يوم أن قرر والدي ووالداها أن يزوجانا لأنهم وجدوا بيننا اتفاقا و أننا مقربان من بعضنا و لا يحتمل

Ася термаз

أحدنا ألم الآخر، فعندما صار عمرنا سبعة عشر سنة أجريت لنا الخطبة ثم ذهبنا الى فلسطين لنستلم العمل العدواني عن أهلينا اليهوديين، فكنا نذهب الى منشآتها و ثكناتها و الى سجونها و نقابل أقدم الأسرى.

دعونا نتكلم عن اليوم الذي زرنا فيه الاسرى، فهنا تبدأ قصتنا الفعلية، عمي المسكين عامر لا يزال سجينا منذ ثمانية عشر عاما في السجن الذي تحت عهدة ابي احرنوط، عندما رأنا رأيت عيونه كيف دمعت و جاء و حضننا...آه... فمن قسوتنا التي تعلمناها في صغرنا أخذنا نضربه حتى كسرت ذراعه.

تلك الليلة بت أبكي و أفكر في ذاك الرجل، فذهبت الى خطيبتي أي أخبرها أسألها ما ان كان ما عملناه بذلك الرجل صوابا؟؟؟

فما ان طرقت الباب و دخلت و جدتها باكية فسألتها عن سبب البكاء و الحزن، فطرحت علي السؤال نفسه، و بدأنا نتناسى ما جرى.

و لبثنا ثلاثة أشهر نلحظ ما نقوم به من الاعمال الصهيونية، فوجدنا أنفسنا نقتل الشيخ العاجز و المرأة التي تخدم أولادها، نذهب لنرى أطفالا جثمانهم تحت الركام.

ثم جلست أفكر و افكر: أما نعمله صحيح؟

آ الطريق الذي نسلكه مشوب؟

ثم تذكرت ذلك الرجل أي عمي عامر، فاخذت خطيبتي التي تشاطرني المشاعر و التفكير و عندما قابلناه سألناه لم حضنتنا ذلك اليوم؟

Ася термаз

فقال:إنك تشبه أخي الذي مات و أنت تشبهين زوجته.

فقلت ساخرا: حقا...إذا لو التقيت رجلا يشبه جده في شبابه...أتحضنه؟

فقال: لا، لكن عنده توأمان ولد و بنت فلهاذا أأنتما من فلسطين؟

فقلت بقسوة: لا خل لك...

خذوه من وجهي...

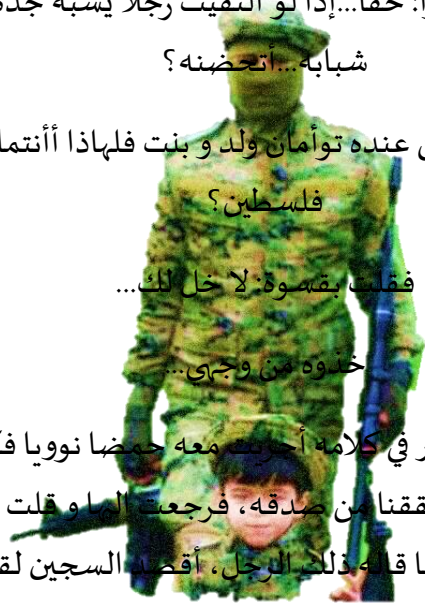

و بعد التفكير في كلامه أجريت معه حمضا نوويا فكان إيجابيا فتحققنا من صدقه، فرجعت الما و قلت لها أتتذكرين ما قاله ذلك الرجل، أقصد السجين لقد أجريت معه حمضا نوويا فمان ايجابيا ربما نحن التوأمان، فاجرينا حمضا نوويا فكان كذلك إيجابيا، و

Ася термаз

لا نزال اليوم نشكر نعمته جل و علا إذ جمعنا مع عمنا...ما تبقى من أهلنا و هدانا الى الإسلام، و لدرب القرآن هدى الانام، و ناضلنا من أجل تحرير عمي من الأسر و لم يرتح لنا بال الا ان أخذ حريته.

ثم أتيناه فحكى لنا ما سلف من خصال والدي العزيز حاتم الذي عانق قلوبنا رغم أن لم نراه، و كتب لنا أن وقفنا على قبره و قبر أمي و عمي و جدتي، و قدر أن لمسنا جدران البيت الذي آواهم، كنا كل يوم نزور هذه الذكريات فنحس عندها بالحياة، و يدق قلبنا بسرعة لا نعلم مصدرها ثم اذا رجعنا ال مساكننا مع اليهود نتعامل بشكلية و كأننا متكبرين متعالين و اذا ذهبنا الى السجون كالمعتاد نلاعب بسجلاتهم و نساعد الاسرى و نحاول التخفيف عنهم، و دائما ما نعترض مشاريع الهدم لحجة و أخرى نذيع معلومات عن المخططات الإسرائيلية.

Ася термаз

كانت شاكلتنا كأن لم نعرف أصلنا و نسبنا، و كنا نخفي إيماننا فهو رهن صدورنا، و بعد مدة أصبحنا عملاء موثوقين من قبل فدائي الجبل، فصار حتما علينا أن نوصل الاخبار في كل ساعة و أن نغير كل شيء حسب مناهم و رغبتهم الى أن جاء يوم و من دون معرفة سمع ابي أحرنوط كلامي من غرفتي في التلفون:" هاي أبو عصام أنا مهند، مكرة في غارة على بلدة عنون كونوا عالموعد".

لم أفكر يوما بأن الذي رباني من سيكيد لي كيدا، فنودي علينا أنا و هناء و أعطونا مخطط جديدا ليوم غد فيه قصف لعدة مدن و قرى، و انا لم أرد المجازفة ببعث المخطط عبر موقع التواصل الاجتماعي و بإرسال صورة له بـSMS، فقررت أن أذهب شخصيا إليهم فتسللت في منتصف الليل و رحت أبا عصام فوصلته بعد أربع

Ася термаз

ساعات الا ربعا من المشي و الجري، و لم ألبث أن أعطيته المخطط و رحت راجعا.

المسكين مهند ابن حاتم الذي عاش باسم إبراهام لقي حتفه لأنه لم يستطع الهروب من أبيه و جنوده الذين كانوا يلاحقونه منذ أن خرج متسللا، فحملوه يجرونه من ثيابه الى أن أوصلوه الى قبر أبيه..

فقال أحرنوط:" أتدري من قتل أباك".

مهند:" شياطينك ؟!!"

فقال أحرنوط:" لا من قتلته بيدي و ليوم لن ألبث أن أقتل ابنه فيكتمل فرحي، و اعلم بأنه ما جئت بك ال بغي الا لغل في صدري"

فقال مهند مبتسما:" و ما زادني هذا الا إيمانا بأني ما فعلت ان خيرا، فقد أبطلت ما نويت الاقدام عليه و ما

Ася термаз

سيزيدني فخرا هو أني سأموت شهيدا كعائلتي فخري...".
و قضى نحبه بعد كلماته ذي فسقط على قبر أبيه نازفا
دم شهادة ساخنا، و زف شهيدا و الناس محتشدة و
النساء تزلغط...

آه أيها المقدام أيا مهند قد ضربت مثلا بأن الدم الذي
يسري في العروق هو ما يبني المشاعر في القلوب فدمك
دم حاتم و انفال و هو ما بنى فب قلبك فلسطيني.

و الآن يا هناء أكملي رواية الامجاد...

مع شروق الشمس و أنا اراقب الباب لعل مهندا يلج،
اذا بأحرنوط يأتي و مدامعه محمرة و جلس أمامي

وقال:" ما حظك لا ندري، يا ليتنا لم نأت مسكننا ذا و ما
كنا في موقفنا ذا، فابني الوحيد إبراهام لقي حتفه و
تركك وحيدة، فانهمرت دموع الأخوة ساخنة و قلت:

Ася термаз

"ما جرى يا عم؟".

فقال:" قتله المخربون على غفلة منه".

ولكن عقلي أبى أن يستقبل فكرة أن الفلسطينيين قتلوا من هو منهم وفي عروقه يسري دمهم.

وفي يوم العزاء جئت التابوت أود رؤية وجهه للمرة الأخيرة فأبى أبوه أن يفتح التابوت بحجة أنه كله حرق فلم أره.

وفي الغد ذهبت الى السجون ألوذ الانتقام فهربت ما يقارب خمسين أسيرا، وما كان الشيء الحيد الذي يضحك في حكايتي هو انه في يوم من الأيام خرجت أتجول في ربوع فلسطين ومعي دوريا من عشر جنود،

و لو كنت وقتها أعرف اسم تلك البلدات لأعطيتكم إياها، و أمرت السائق أن يسلك دروبا أرى الى أن وصلنا

Ася термаз

الى ابي عصام، و نزلت السيارة و قلت خذوا صيدا جاهزا، فربطوهم بالحبال و أسروهم.

ثم جاء قائد الكتيبة و قال :"من انتي؟".

فقلت:" أخي هو مهند ولم آت الى هنا الا لأجزيكم ما ألبستم أخي ثوب الشهادة".

و أخذت أتمرغ في التراب أني قد ضربت، و ركبت احدى السيارات و جئت أحرنوط أبكي أنه قد أعترض طريقنا و بشق الأنفس هربت.

ولكن لم تستمر حكايتي كثيرا فقد جاءتني فرصة يجب أن أنتهزها، ففي العاشر من نيسان اي في يوم عيد ميلادي، أقيمت حفلة حضرها كثير من الجنود و عمال الإدارات و أصدقاء أحرنوط و مساعدوه، فقررت لبس حزام ناسف لإفنائهم بما أنني لا أفتش.

Ася термаз

و بالفعل حقا كانت هناء على قدر الكلمة التي قالتها، فصلت ركعتين و رفعت يديها للرحمن سائلة التوفيق في مسلكها ذا.

ثم لبست الحزام الناسف وفجرتهم وهي واقفة امام أحرنوط وكأن دم ابيها الذي يسري فيها جذبها اليه ليكون الانتقام وهو أول الموتى.

ولا نستخلص في الأخير الا أن الدم لا يفدى الا بالدم،

و دم الثائر ساخن و لو صب عليه ثلج القطبين و ماء الأطلسي.

تمت عام2015

Ася термаз